مجلة تراثية فصلية محكمة

تصدر عن دار الشؤون الثقافية العامة - وزارة الثقافة والسياحة والآثار - الجمهورية العراقية

المجلد السادس والثلاثون

العدد الأول - ٢٠٠٥ م - ١٤٢٦ هـ

رئيس التحرير

أ. د. مشكور الأسدي

هيأة التحرير

مدير التحرير

د. لمعي عبدالكريم بهنام

سكرتير التحرير

محمود الطاهر

الهيأة الاستشارية

أ. د. خديجة الحديثي

أ. د. كمال مظهر

أ. د. فائز عبد سعيد

أ. د. داود سلوم

أ. د. مالك المطلبي

أ. د. يونس احمد السامرائي

الاستاذ حسن عربي

التصحيح اللغوي

سليم سلمان

نجلة محمد

الاشراف الفني والتصميم

جنان عدنان العامري

عنوان المراسلة

دار الشؤون الثقافية العامة

[illegible]

جمهورية العراق

هاتف: ٤٤٣٦٠٥٤

فاكس: ٤٤٨٧٦٠

الأسعار

العراق: ٥٠٠ دينار، الاردن: دينارات، الامارات: ٢٠ درهما، اليمن: ٢٠ ريالا، مصر: ٢ جنيهات، ليبيا: ٢ دنانير، الجزائر: ٦٠ دينارا، تونس: دينارات، المغرب: ٢٠ درهما

المشاركة السنوية

في الأقطار العربية ٥ دولارا.

في دول العالم الاخرى ١٠ دولارا.

www.dorat-ghawas.com

واردة ((المورد)) ..... د. محمد حسين الأعرجي ٤

ثقافة الشاعر العباسي الشعرية ..... د. يونس السامرائي ٤-١٨
دراسة تتابع الوحدات
الصوتية عند ابن جني ..... د. عبد المنعم ال ناصر ١٩-٢٧
علم الملاحة البحرية
عند العرب وقياساتها ..... د. صبري فارس الهيتي ٢٨-٣٥
الشاعر العربي القديم بين
جهوده ورواة شعره ..... د. زكي ذاكر العاني ٣٦-٤٦
مظاهر اللحن الخفي عند
علماء التجويد ..... حقي عبد الرزاق لطيف ٤٧-٥٨

شعر يوسف بن لؤلؤ الذهبي -
القسم الاول ..... تحقيق عباس هاني الجراخ ٥٩-٧٥

قرى ريف الموصل
مستدرك على معجم البلدان ..... يوسف الطوني ٧٦-٩٨
الكتب المحققة من مصنفات وترجمات
العالم الحكيم حنين بن اسحاق ..... فؤاد قزانجي ٩٩-١٠٤

الانوري وكتاباه الايضاح
والدستور ..... د. محمود الحاج قاسم ١٠٥-١١٦
الفصيح وشروحه ..... د. عبد الكريم عوفي ١١٧-١٣٣

إذ يتحدث محب كبير
علي جواد الطاهر .. مقالياً ١٩٩٦ م ..... قاسم عبد الامير عجام ١٣٤-١٤١

ما لذ وطاب ..... عرض : نجلة محمد مجيد ١٥٩-١٦٠

www.dorat-ghawas.com

إذ يتحدث محب كبير

علي جواد الطاهر.. مقالياً

١٩٩٦م

الاستاذ المرحوم

قاسم عبد الأمير عجام

*تعلمت منه الكثير وتريد الآن أن تكتب عنه!؟

- ولم لا؟ أفلم تحرك أعماله الكثير من الأقلام؟ أفلم يكتب هو عن أساتذته؟

*نعم.. ولكن اعجابك به واضح وأنت تريد ان تكتب دراسة عنه، وأخشى عليك الانحياز.

- تلك صعوبة أحسها. ولكن ألم تقل أنني تعلمت منه؟ ولقد تعلمت، فيمن تعلم منه، الأمانة والاحتفاء بالجديد والجيد على اسس من العدل.

*وكيف ستحيط به وهو فارس في اكثر من ساحة؟

- سأحاول رؤيته في ميدان المقالة الفنية. ولا أزعم الأحاطة.

*إذن فقد اخترت أحب ميادينه اليه..

- اجل. وهو يعلن ذلك صراحة إذ يرى قسمته في دنيا الابداع الادبي أن يكون مقالياً.

وأزعم أنه اختار الميدان الاكثر تأثيراً في القارىء العراقي، والاكثر فعالية بين الفنون الابداعية منذ ارتبطت المقالة الصحفية بالسياسة وشؤون الوطن والخبز واحلام الناس واحزانهم حتى ليقول أحدنا لصاحبه: أقرأت الجريدة الفلانية فيقول.. قرأت منها مقالة فلان. وحتى ان بعض الجرائد العراقية كانت تقرأ ابتداء بمقالات اشهر كتابها حيثما وقعت من الجريدة. وما كانت المقالة لتنتشر أو ترسخ فيرسخ اسم كاتبها ما لم تنطو على جانب من جماليات المقالة كانشاء، في السياسة أو في الأدب.

ولقد اختار علي جواد الطاهر أن ينتمي الى أجود ما تطورت اليه كتابة المقالة لتكون أدباً بكل ما للأدب من جماليات، متميزة من من المقالة السياسية أو المقالة التعليمية بعامة، مستفيداً من اطلاعه على انجازات رواد المقالة الأدبية خلال دراسته في باريس واستيعابه لاسسها وتأثره الواعي بانجاز أئمة المقالة الأدبية العربية.. طه حسين واحمد حسن الزيات وكتاب مجلة (الرسالة) ليكون امتداداً خاصاً متطوراً لها. فلقد كان ذلك الاطلاع والاستيعاب والتمثل يتفق مع ميل به، واستعداد موهبة مبكرة للانشاء واعلان الانشاء أيضاً. وتشهد له مدينته (الحلة) ببواكير تلك الموهبة إذ تفتحت مقالات في نشرات مدرسية أو خطباً في مناسبات وطنية، أو تميزاً في درس الانشاء المدرسي لم تقل فيه درجته عن الدرجة الكاملة.. ١٢٥/٢٥!

www.dorat-ghawas.com

والموهبة كما تعلم ويعلمون اساس في اي ابداع أو فن.. فاذا تعهدتها ثقافة تتسع وخبرة تتلون وتتعمق، وتفاعل كل أولئك في إهاب احساس مخلص بالمسؤولية الوطنية بأوسع معانيها واكثرها رحابة، كانت تلك مقالة الطاهر الأدبية وتلك منابعها.

ولقد تدفقت نبعا عذبا في (مقالات - ١٩٦٢)[١]. لتبشر به رائدا للمقالة الأدبية الجديدة. وازدادت عذوبة وغزارة في (وراء الأفق الأدبي - ١٩٧٧)[٢] حتى ليعلن هو اعتزازه بمنجزه هذا اكثر من مرة وباكثر من مناسبة. وهو محق في ذلك إذ كان فيه أديبا ساحرا، ومعلما وناقدا مبدعا في مزيج منسجم التكوين عذبا، فلا عجب ان استدعى اكثر من قلم للكتابة عنه متأملا أو معجبا أو دارسا.

*كأنك تريد أن تشير الى مقالك عنه عام ١٩٧٨!

- لم يكن سوى مقالة من وحيه. وحين نشرت لم تنشر كلها[٣]. وما نشر منها ادمجت فقراته بعضها ببعض اختصارا للمساحة فلم يحقق للنفس ما كانت تتمنى ولكني اشير الى دراسة فاضل ثامر في كتابه (مدارات نقدية...)[٤] فقد توفر على تجربة الطاهر المقالية كما انتهت اليه في ذلك الأفق الأدبي.

*وهل ترالك مضيفا اليها؟

- لا أزعم ذلك. ولكن تجربة الطاهر استمرت تتدفق فكانت مقالات (اساتذتي.. ومقالات اخرى.. ٨٧)[٥] و ((من حديث القصة والمسرحية)[٦] و (الباب الضيق - ١٩٩٠)[٧] و (... وانت تقرأ)[٨] و (روايات ومسرحيات عراقية في مآل التقدير النقدي - ٩٢)[٩] ومقالات في (آفاق عربية) واخرى في (الاقلام).. والدرس المقالي على مذهب الطاهر يتعمق. افلا يثمر كل ذلك وقفة عنده؟

*ولكن ما بالك تجمع بين اعماله النقدية والمقالية وانت في وارد دراسته مقاليا؟

- لا غرابة.. فهو مقالي مبدع حتى في نقده للقصة والمسرحية والرواية، وانا مع فاضل ثامر أراه مقاليا أساسا. ولكنه بما توافر له من عدة النقد، وبموسوعيته أستطاع أن يوظف موهبته المقالية لتكون وعاء لنقد يضيء النص ورسالته.. وقد يعلمنا بشيء أو أشياء من شؤون مبدع النص أو شجونه. ودونك (في القصص العراقي المعاصر)[١٠] وانظر في خاتمته بالذات لتقرأ مقالة غاية في العذوبة ودقة امتزاج الانشاء بالرأي النقدي.

*كلماتك تفضح حبك له.. فلا تلمني في خشيتي عليك عاقبة الانحياز.

- لا تخف. وانا لا أنكر الحب بل قد لا يصلح لدراسته منهج سواه!

*وكيف ذلك؟ أهذا جديدك؟ وكيف يصلح الحب منهجا لدراسة مقالي؟

- لو تأملت عطاءه جيدا لما وجدته الا محبا كبيرا يحدث من يحبهم.. فاتحا لهم عقله وقلبه. يسخو عليهم بخبرته ويحلم معهم ولهم بدنيا رفيعة المقاييس رحبة الأجواء. وهكذا درسته. أجل. فقد كان الحب لوطنه واحلام شعبه وللثقافة وخيرها لأهل بلده وامته، اساس تجربته الثقافية كلها لا تجربته المقالية وحدها. قل ان الثانية هي الجزء الناطق عن الكل. ولئن اتخذ الثقافة على اتساع عالمها ساحة لاعلان ذلك النطق فلأنه فيها السمكة في الماء، عام في جداولها وصعد الى انهارها العذاب، وصب في بحرها كاتبا واستاذا جامعيا. معلما وباحثا ومحققا. فدنيا الثقافة هي دنيا مقالته الأدبية وأركان هيكلها ومحراب صلاتها. ولو أردت أن تجمل حصيلة ما أنشأ من مقالات عذاب لما كنت الا أمام حلم جميل متصل متجدد بثقافة راسخة الاسس رفيعة الأركان، رحبة الأجواء.. تشمل الوطن وأهله. وتتمشى في حياتهم رقيا وجمالا وكرامة. والا أمام مشروع مثقف يحترم كلمته، ويحترمه ويحبه أهله، ويحترم الرأي الآخر ويستفيد منه. وامام سعي مثابر لمؤسسات ثقافية واجتماعية لا تغمط حقا ولا تتاجر بنشر، ولا تفرط بموهبة ولا تضيق بجديد من الفن او المبدعين.

تلك دنيا مقالاته وأحسبه مدخلا مناسبا لدراستها. ومنه نظرت فيها وخلال سطورها وجدت المحبَ الكبير حتى أكاد اقول انني اعرف مزاجه. وقد أخمن طريقته في استقباله لهذا النص أو ذاك، أو لهذا السلوك او القول أو ذاك!

*أكان شفافا الى هذا الحد؟

- الشفافية في المقالة المبدعة طبيعة يا صاحبي، وطبيعة في كل

www.dorat-ghawas.com

عمل أصيل يبدعه صاحبه عن فهم وحب. فشرط المقالة المبدعة أن ((تعنى بالناحية التي تمس الكاتب عن قرب))[11]. ولقد اعلن الطاهر غير مرة انه عرف عديدا من المبدعين الى حد الصداقة معهم، بل التتلمذ عليهم دون إن يلقى أيا منهم.. لأنهم منحوا أنفسهم بصدق ومحبة لما توفروا عليه فتمثت اخلاقهم - أجل حتى اخلاقهم - فيما انجزوه فشف الانجاز عن المنجز. ودونك اعلانه لتلمذته على (طه احمد ابراهيم) أو خذ لهفته وحماسته في البحث عن (محمد صقر خفاجة) في كتابه: (أساتذتي.. ومقالات اخرى). بل انه حين نظر الى حسين مردان مقالياً رأى ان اجمل مقالاته كانت الأقرب الى ذاته والأصدق في التعبير عن اطوار النفس في احزانها وأفراحها[12]. وحين استعرض في حواره الطويل مع المطبعي حميد تجربته، أشر في معالم تطور مقالته ((زيادة العنصر الذاتي)) الى جانب بروز سمات فنية ((في الاخراج والصور والأداء وتمثل القارىء))[13] ونص على الانفعال بموضوعها.. ونص عليه أيضا في مقدمة كتابه (الباب الضيق)[14]. وكذلك شأن أجمل مقالات المنشئين العرب القدامى.. طه حسين، والزيات، والمازني، وزكي مبارك. والمقاليين الجدد محمود درويش، ويوسف الصائغ، ومعين بسيسو، ونزار قباني، ورشدي العامل وحسين مردان. (ولاحظ أنهم كلهم شعراء، فالشعر لا يغيب عن المقالة المبدعة كما ميزها الطاهر عن المقالة التعليمية. بل قد يفيض، كما يرى، في القالب الشعري ليأتي روحا في النثر.

ولقد سعى أن تتمشى روح الشعر في مقالته فاصطنع لغة انيقة، سهلة فصيحة متماسكة دقيقة التعبير صحيحة النسب الى معانيها.. فاذا الكلمة أو الجملة هي الوعاء المناسب بل الأنسب للمعنى المبتغى. وكل اولئك ضمن جو مرسوم يشمل المقالة وتعبق به أنفاسها. أجل.. هي قطعة فيها من الحيوية ما تشعرك بانفاسها وجرسها أيضا.. أفلم يشترط الموسيقى في الشعر؟ ومادام حرص على الشعر روحا للمقالة، فليكن شرط الشعر في بناء وجوانب المقالة، نوعاً من موسيقى المقالة..

*حسنا.. فما هو جو مقالة الطاهر؟

- قلت ان الطاهر يحبنا.. وإذ يحب عمله فلكي يثري به حياتنا. وجو مقالته هو حبه ذاك. أفما رأيت فرحه وحماسته لكل عمل جميل قصة كان أو قصيدة.. مسرحية أو مقالة؟ أفما تحسست اقباله على الأمساك بعناصر جمال ذلك العمل؟ أحسب أنك رأيت ذلك وتحسسته. أفما قرأت (الخطوة الثانية)[15] وحماسته للشاعر الموهوب الواعد؟ أفما قرأت (محمد خضير.. وحده)[16]؟. وهل تحسست فرحه بما يمثله من ابداع واخلاقيات؟ أم تراك تحسسته في حماسته لنثر يوسف الصائغ في (يوسف الصائغ.. حالة)[17]؟ نعم. وكثيراً ما يعلن فرحه أو حماسته في عنوان مقالته ذاته. وعد الى عناوين (محمد خضير.. وحده) أو (يوسف الصائغ.. حالة) لتحس ما فيهما من حماسة او فرح، بل انك لتراهما معلنين حتى في عناوين مقالاته النقدية.. (غرف نصف مضاءة.. قمة جديدة في القصة العراقية)[18] و.. (اربع قصص عالية الطبقة لأحمد خلف)[19] و.. (بيروشناشيل.. مسرحية راقية)[20].. (لو. مسرحية عراقية تهز الركود وتفضح الهبوط وترجح لدى الاختيار)[21] ومثل ذلك كثير. فبالحب يبحث في العمل. وبالحب يحتضن جماله ويتحمس لنجاحه فتأتي مقالته مفعمة بحرارة الحب وفورة الحماسة.

*ولكن ما كل الاعمال، ولا كل شؤون الثقافة بجميلة أو راقية.

- بلى. ولذلك تراه يعتب أو يلوم، بل قد يغضب. وتحس ذلك أيضا. في سطور مقالته دون أن يخفى الحب. إذ لا يأتي العتب الا عن احساس بكبوة فارس، او لعثرة ما كانت في العشم إذ يكون الأمل اكبر من المتحقق. ولكنه يعتب دون ان يغمط حق من يعاتبه ولا مكانة من يلوم.. موهبة شابة كان الملام أو أستاذا. ودونك عتابه للاستاذ الدكتور محمد مندور إذ حاول أن يتجاهل ريادة طه احمد ابراهيم في تأسيس تاريخ النقد الأدبي عند العرب[22]. أو عتابه للاستاذ الدكتور احسان عباس في الشأن ذاته[23].. وسترى عتبا مع احترام وحق مكنون للاستاذين. وفي عتابه للعلماء لتقصيرهم عن النشر العلمي العام في موضوعات تخصصهم نوع من الحب للعلم والعلماء وجمهور القراء وأثر المعرفة العلمية في الحياة والانسان.. ونوع من الحب المعاتب للعلماء في إهاب دعوته لهم لاصلاح علاقتهم باللغة العربية[24].

وقد يمتد العتاب الى مؤسسات عامة أو هيئات ولكن الروح هي

www.dorat-ghawas.com

هي. وحتى اذا تمشى اللوم في العتب فما ذلك الا للتذكير بأسس أو حـــدود لا يمكن تجاوزها. فليس مقبـــولا أو جائزا أن يخطىء مقدمو برامج الاذاعة فيقرأون ويمضون في الخطأ حتى لو غير الخطأ معنى ما يقرأون أو يقولون[25] ! وليس محتملا إهدار لغتنا وكرامتها حتى لتكون لجلة (الاسبوع العربي) (لغة) فيها من الاصرار على الخطأ ما لا يمكن أن يكتب عنه[26]. وليس هينا ألا يعرف المثقف حدوده فيرسل الكلام على عواهنه كما فعل (بطل) مقالة (اذا تحولت العمامة الى سدارة)[27].

وحتى اذا اشتد الطاهر باللوم فاستحال اللوم غضبا فأنك لتحس وراء اللوم والغضب ألما دفينا أو صريحا. لأن الباعث يمس أشياء أو قيما ذات أثر في حاضرنا او مستقبلنا. واذا كانت السمة العامة لغضب الطاهر أن يبقى كظيما، تمشيا مع تهذيب في الطبع وجذر في التربية، فأن جو المقالة يسمح بالاحساس به بأكثر من سبيل. وقد يستحيل الكظم الى سخرية مرة.

واكثر ما تحس بغضب الطاهر حين يتعلق الأمر باهدار البديهيات. فلا شيء أقسى من تجاهلها الا النتائج الخطيرة لذلك التجاهل. فالاصل في الغناء مثلا هو الصوت ولكن ما العمل والمغني بلا صوت ولا تسعفه حنجرة؟ وكيف الحال وهو يصر على الغناء؟ وكيف وانت ((يصعب عليك ان تقول لهذا الذي لا صوت له انك لا تصلح للغناء، وقد آذيتنا وازعجتنا فاسكت يا اخي العزيز واحترم نفسك واكف الناس شرك))[28]. فاذا كان هناك من يعجب بذاك المغني فتلك ((مأساة. يا اخي مأساة))[29]. والناقد الذي يفتقد شروط النقد الحق مغن لا صوت له، والمأساة أشد فتكا وايذاء.

وفي مقالة ((شيء في الجو)) يتقطر الغضب الكظيم أو يتسامى الى حسرات واسى ((اسى من فقد عزيزا)) وكيف لا والآمال الكبيرة تسحقها ((دوامة من تفاهة تبلغ من شأنها انك لا تحس معها بالتفاهة أو أن تريك في هذا التافه قانون الحياة))[30]! واذ يستحيل الغضب الكظيم الى سخرية مرة تبدأ مقالة (الشاعر الكبير) بـ (آه..) ((آه.. لقد أهينت مفهومات كثيرة في زماننا)[31]. ولاننا لم ننتفع بتحذير ما كان في المقالة فقد أنتهينا الى (أسوأ ما ينتهي اليه مجتمع تضيع المقاييس فيه فاذا الصغير كبير والمتخلف متصدر..))[32]. ولذا يعود الطاهر الى الغضب الساخر في مقالة (الاستاذ الكبير) محذرا من استمرار خلل الموازين حتى لم يكتفوا بمنح لقب الكبير للصغار فاذا هم يتأهبون ويتدربون على (الاستاذ الجليل))[33].

وحين تكون الداهية أشد خطورة والبلاء يحمل خطر الامتداد والانتشار كخطر التضليل او التأليف على غير اصوله أو شيوع نقد لا يستوفي شروطه أو عقد مقابلات (صحفية) مع صغار يراد نفخهم فاذا الصبيان يسألون عن المتنبي او تولستوي أو شكسبير بالقياس اليهم.. فلابد من اعلان الغضب وليكن عنوانا.. فهذا ((كتاب لا تقرأه))[34] وذاك ((ناقد.. لا تقرأ له))[35] وهناك ((تدليس في نشر الكتب))[36] وتلك ((جناية المقابلات الصحفية.. على الحقيقة الأدبية))[37].. الخ.

وما تلك أوامر بل نهيٌ عن الباطل ((لأن انتشار الباطل لا يسوغ الباطل)) وان اعادة طبع ذلك الباطل ((لا تعني ان الكتاب جيد ولكنها تعني ان القارىء رديء))[38]. ولان ذلك غضب ينبع من حب فانه لا ينهى عن الباطل فقط وانما. وهو في فورته. يعود فيرجوك! اجل.. اسمعه يقول ((أرجوك مخلصا ألا تقرب هذا الكتاب)) بل يمضي الى ما هو أبعد ((ثم ارجوك.. ارجوك متوسلا ان تنصح الآخرين بان يوفروا على جيوبهم المال وعلى نفوسهم العناء))[39].

اما اذا كان الأمر موضوع نظرية أو فلسفة تحمل خطرا على صلة الأدب بالحياة أو ما يبدو وكأنه مسعى للرجوع الى برج الفن للفن فلابد أن يفور التنور حين تجد من يدني علاقة كاتب بمجتمع، أو أهتمام ناقد بظرف أو عوامل خاصة إذ لا اهتمام له الا بـــ ((هذه الكلمات ازاءه وهي مجموعة من الحروف جملا وسطورا وفقرا))[40]، كما يفعل البعض من ممارسي (البنيوية) كما التقطها من ترجمات المغاربة.. فلابد عندها من التصدي الصريح بل الغضب المحرض، فاذا العنوان يخرج حتى عما اخذ به الطاهر المقالي من عنوانات أنيقة موجزة موحية، ليكون أدخل في التقرير الغاضب إذ هو ((البنيوية أعلى مراحل السوء في ترف نظرية الفن للفن))[41].

افرأيت كيف تشف مقالات الطاهر عن انسان ينفعل وه

www.dorat-ghawas.com

يفكر، ويفكر وهو ينفعل؟ وهل رأيت يا صديقي كم فيها من الحب والفرح والحزن؟ وكم فيها من تشجيع ولوم أو عتاب وغضب؟! حسنا بل فيها اكثر من ذلك.. فهناك..

*أكل هذا ومازلت في جو مقالة الطاهر؟

- اجل.. ولابد من استيفائه من خلال النظر في مقالاته، على مذهبه في الاسلوب. فذلك الجو بعض تجليات الاسلوب حيث هو الروح والفكرة دونما فصل بين شكل أو مضمون إذ لا فصل بينهما ما دامت لدينا ((تلك الكلمة البارعة الرائعة.. الاسلوب))[٤٦]. وسترى كيف تبلور ذلك الجو من خلال حرفيات مقالته الاخرى كالاستهلال والخواتيم والعنوان والحوار واستخدام الضمائر وغيرها.

.. فهناك السخرية، بل السخرية المرة. غير ان الطاهر لا يسوقها في مقالته عدوانا ولا تكبرا أو تعاليا - وحاشاه وهو المتواضع العزيز - ولا تفيهقا أو ادعاء، بل هي مثل عتابه او لومه أو غضبه.. لا تخلو من تنبيه على بديل أو من تحذير من سوء. قل هي وسيلة تأثير في المخاطب أو تطرية للخطاب المقالي، أو هي بوح ذات منفعلة ازاء خيبات او مصائب أو إنحرافات يرى المتحدث ان تبشيعها يسهم في اسقاطها أو التقليل من خطرها. ولذا تتفاوت مرارتها شدة بتفاوت حجم الخطر او الموضوع الذي يستدعيها. فبينما تمتزج بغضب في (الشاعر الكبير) نجدها تتمشى في ثنايا التنبيه في (تحولت العمامة الى سدارة). أو قد تكون مسعى لوضع الامور في نصابها كما في (مرض العالمية)[٤٧]. أو قد تأتي سخرية استهانة من حال كالذي نهدر فيه لغتنا حتى ليبلغ بنا ((أن نأخذ لغتنا من مجلة الموعد أو مجلة الشبكة))[٤٨]! أو حين تجري الأشياء ((لدينا من دون أسباب وجيهة)) فاذا الوسط الثقافي يعاني من امراض وامراض اقلها المزايدات والادعاء بلهجة (العالم الخبير) كالحال في مقالة (اذا تحدثوا عن مهرجان ابي تمام)[٤٩]. أو حين يذهب الغرور بالمتعالين المتمكنين بعيداً فيتوهم الواحد منهم انه اكبر بكثير مما لديه أو مما هو في حقيقته، فينفخ نفسه وينفخ به الآخرون.. غير الحياة المبتلاة بالنافخ والمنفوخ تدرك الفرق بين الضفدع والبقرة. وتدرك ان لكل منهما حجمه وعائلته وهيهات ان يصير ذلك هذه ((فلم يسلم حتى على حجمه الذي هو حجمه))[٥١].

وقد تهيمن السخرية على الموضوع كله بمجرد ان يباشره القلم بعد الاستهلال فتأخذ الجملة برقاب الجملة لتصف الحال من جوانبه المتعددة، أو قل لتصف المرض/ البلاء باعراضه المتعددة ابتداء من الادعاء والتعالم وتبادل المنافع بين النافخ والمنفوخ مروراً بالاشارة الى أرباح الجهلة المتعالين في زمن يتغابى او يتعامى وينافق فيسمي المصاب بالتعالم.. المنفوخ بالجهل رابحاً في ((الحاصل العلمي الفلسفي الادبي من الغباء والتغابي والتشيخ والتصابي وشيكسبير وعرابي)) المستفيد المتخم ((بعجينة الاجناس الأدبية)) ((بالبيولوجيا والسيكولوجيا والجيولوجيا والديماجوجيا)).. يسميه بالأديب المرموق[٥٢] ! وهكذا سخرية هنا وسخريات هناك بالمقارنة حينا وبالصورة حينا وربما بهما معا.

وايا كانت طريقتها او مفرداتها، تبقى سخرية الطاهر مقاليا مترفعة مهذبة لا تجرح.. لانها اساسا لا تسخر من فرد أو مجموعة لذاتهما بل من حال لا تتفق وصورة الحلم او الحال المبتغى للحياة الثقافية والاجتماعية. وقد تكتفي احيانا بأن تكون لسان حال الوضع الذي استحق السخرية، وقد تخيله المقالي او افترضه قد نطق فتراه ينسج على منواله ليرسم الحال بزيت سخريته! كتلك ((المقابلة الصحفية)) التي رسمها من وحي جنايات بعض المقابلات على الحقيقة))[٥٣].

وبذلك فهي ليست كسخرية (معين بسيسو) في مقالاته التي جمعها تحت عنوان (أدب القفز بالمظلات)[٥٤] حيث تأتي سخريته خشنة حادة مباشرة تقوم على التشبيه والاستعارة فترسم (كاريكتيرات) حادة الهجاء للحال او الموضوع الذي يسخر منهم[٥٥]، لكنها تتفق واياها في انها تزيد من ألفتنا مع الكاتب، وتمكن لمقالته مزيداً من التغلغل في المتلقي لابلاغه رسالتها والفوز بثقته. وتتفقان في سعيهما لتبشيع الأوضاع التي استدعتهما.

ويلاحظ ان السخرية في مرحلة (ما وراء الافق الأدبي) كانت اكثر حضوراً مما في مقالات (اساتذتي.. ومقالات اخرى)، إذ تراجعت هنا الى نوع من الاسى او الالم الدفين وان أطلت في عدة مقالات غضبى او عاتبة، أو اطلت خافتة باللجوء الى مثل شعبي

www.dorat-ghawas.com

عراقي بلهجة العامة وحتى لتجده (يلوب) متألما متحسرا ((تعالي وجلبي جروحي يا بطرانة))[٥١]. لكنها في (الباب الضيق) تعود مرة أخرى، خاصة الى الموضوعات التي كان الطاهر قد حذر من سوء نتائجها لكنها استمرت بعد ان وجدت من يستفيد بها ومنها.. وتعود هنا بمساحة أعرض في المقالة الواحدة إذ قد تستغرق المقالة كلها أو معظمها كما في (اديب مرموق) و ((طولوا فطولنا.. وقصروا فقصرنا..!))[٥٢] و ((الاستاذ الكبير)) حيث يعود فيها مرة اخرى الى الاختتام بحكمة أو مثل شعبي باللهجة العامية كمن امتلأ مرارة ((خل القضية مسترة))[٥٣].

وأيا كانت العاطفة او الحال التي طالعنا بها كاتبنا فانهاليست بعيدة عن حضور ذاكرته القوية واتقادها.

فقوة الذاكرة أو نشاطها المتقد تمنح مقالة الطاهر طعما خاصا الى جانب ما توفر لها من قوة الحجة أو مدداً من المعلومات. والمعلومات في مقالة الطاهر جزء اساسي في بنيتها ووفاء لاحترامه المعلن لقارئه. بل ان الذاكرة في عدد من مقالاته هي المنطلق والاساس كمقالاته عن اساتذته مصطفى جواد، وطه حسين، ومحمد مهدي البصير وطه الراوي، ومحمد احمد المهنا وسلامة موسى[٥٤].. مقدماً فيها نماذج رفيعة لمقالة الشخصية حيث تعمل الذاكرة فيها بصورة مركبة ينم عن النشاط والاتقاد فترسم الشخصية في ابرز ما كانت عليه وتتبعها في اقوى ما منحها عوامل الامتداد او البقاء في ضمير الآخر.

وبالطريقة نفسها تعمل في استحضار تجارب اجتماعية او ثقافية كتجربته هو في القراءة[٥٥] أو من تربيته في مجتمع الحلة الذي نشأ هو فيه حيث (التربية بالثواب والعقاب)[٥٦] فتكون في الحالين انتقالاً واعيا بين ماض وحاضر واطلالة على المستقبل بما توفره تلك الشخصيات او التجارب من حكمة وعبر.

وبسفعل الذاكرة المتقدة ونشاطها التركيبي تأتي مراجعاته للكتب والدراسات. واذا لم نذكر كتبه التي قامت على ذلك، فاننا في مقالاته الأدبية المبدعة نجدها في مراجعاته الفطنة لكتب اعيد نشرها أو نشر بعضها! تصحح وتستدرك وتفضح زيفا أو تكشف غشا.. ودونك مقالات (تدليس في نشر الكتب) و(ناهد المازني وطبعة ثالثة لكتاب في الطريق)[٥٧] ونجدها في يقظته وهو يتابع حديثا اذاعيا كذلك الذي افرز مقالة ((حديث استاذ مختص بالمكتبات عن كتاب العين))[٥٨].. ومقالات اخرى.

هنا لا يكون فعل الذاكرة مفجراً للمقالة فحسب وانما وسيلة وحجة للوصول الى الحقيقة صيانة لحقوق المؤلف. واحتراما للقارىء. وللقارىء مكانة رفيعة في نفس الطاهر وعقله وانه ليرى في استغفاله غباء، بل انه ليعتبر قراءه عاملاً في تطوره مقاليا مثلما كان طلابه[٥٩]. وبالمنهج نفسه وللهدف نفسه ندخل مقالاته (نقدالترجمة)[٦٠] و (اصول ترجمة العنوان)[٦١] و (صفحة مترجمة عن اميل زولا)[٦٢].

وفي تلك المقالات لا تتألق الذاكرة الا بالارتباط مع سعة الاطلاع.. فلولا اطلاعه الواسع لما كانت تلك المقالات ولما كانت مقالته المهمة (الغربيون يعبثون بالمصطلحات أيضا)[٦٣] أو ((مختارات من الشعر الرومانتيكي الانكليزي))[٦٤]. وان شئت امتزاجاً ذا نكهة خاصة بين اتقاد الذاكرة وسعة الاطلاع والموقف النقدي فثمة مقالات الطاهر في باب (وانت تقرأ) في مجلة الفيصل[٦٥] فهي محاورات راقية للكتب والكتاب تشكل متعة راقية لقارئها ورحلة في عوالم معرفية فسيحة.

تلك معالم اجواء مقالة الطاهر تأتيك بلغة أنيقة وهيكل فيه الحوار (كأنه المناجاة) وفيه السرد أو الحوار السردي. تأتيك مرة بضمير المتكلم وهو الاغلب الاعم فمقالته شخصيته. وتأتيك مرة أخرة بضمير المخاطب او الغائب ولكن بعد أن يتقمص شخصية المتحدث.

كنايات واستعارات وتلميحات منتقاة بيقظة وتركيز تحيل الى شؤون وشجون تقرب المقالة للقارىء وتسهم في بناء واحترام متبادل بين القارىء والمقروء.

- عالم ادبي ينساب بين البدء والختام على جسور من المعلومات والافكار والمشاريع دونما خطابية او صراخ بل تنسجم مع هدف المقال الذي يتحقق عبر انسجام بين الاستهلال والعرض والختام، وتحت عنوانات من صميم الهدف أنيقة موجزة غالبا وتقريرية احيانا لكنها لمن يدرسها لن يجدها عنوانات عفوية.

بذاك وكثير ما يجده الدارس المتمحص تقوم وتبقى مقالة علي جواد الطاهر نموذجا متقدما وامتدادا متطورا لمدرسة طه

www.dorat-ghawas.com

حسين ـ الزيات بعد أن ((خفف من غلواء الأثر الزياتي محتفظا بعنصر الموسيقى)) ((وإن ودع العنفوان (الطحسيني) فقد تشرب مع اللف الذي يجتذب القارىء الى ما بين سطوره))[٦٦].

وها أنت ترى في كل ما أنجز سعيا مثابراً واعيا لاتخاذ المقالة مجالا للابداع الأدبي واتخاذها منبراً للقول في شؤون الثقافة وشجونها، وليته فعل اكثر من ذلك..

*ماذا تريد..؟

ـ تمنيت ان يكتب بمثل مقالته هذه في شؤون الحياة العامة وشجونها فكلها نصلح لأن تنتج مقالة مبدعة حين يتعهدها قلم بارع فنان.. ولم لا! أفلا يحبنا؟

نعم، بالحب وبالحب كتب لنا.

وبالحب كتبت عنه وقلت. وبالحب عمدت الى الكتابة هنا على طريقته اعترافاً بتأثيره في واعلانا لتتلمذي عليه. فأن أصبت فما أسعدني! وان قام لي ناقد (فنتف ريشي) فبالحب ومن اجله يهون الكثير.

الهوامش

(١) علي جواد الطاهر ـ ١٩٦٢ . مقالات. ط١. اتحاد الادباء العراقيين. بغداد ٢٨٢ صفحة.

(٢) ـ ١٩٧٧. وراء الافق الأدبي ـ وزارة الاعلام / سلسلة دراسات ـ ١٢٥. ط١. بغداد/ ٢٩٣ صفحة.

(٣) قاسم عبد الامير عجام ـ ١٩٧٨. هموم ثقافية وراء الافق الأدبي ـ //جريدة الفكر الجديد ـ بغداد. ع٢٩٦ ـ ١٩٧٨/٦/١٧ ص١١.

(٤) فاضل ثامر ـ ١٩٨٧. مدارات نقدية في اشكالية النقد والحداثة والابداع / في جماليات المقالة الحديثة في الإدب العراقي.. تطبيق على ضوء تجربة الدكتور الطاهر المقالية ص ٨٩ ـ ١١١ ـ وزارة الثقافة والاعلام / سلسلة دراسات ادبية، ط١. بغداد/ دار الشؤون الثقافية.

(٥) د. علي جواد الطاهر ـ ١٩٨٧. اساتذتي ومقالات اخرى. ط/ ١ وزارة الثقافة والاعلام ـ دار الشؤون الثقافية ـ بغداد .

(٦) ـ ١٩٨٧، من حديث القصة والمسرحية. ط/ وزارة الثقافة والاعلام ـ دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ص ٥٤١.

(٧) ـ ١٩٩٠. الباب الضيق ـ ط١/ شركة المعرفة للنشر والتوزيع/ ١٦٠ صفحة.

(٨) ـ ١٩٨٩(وما قبلها) . كان الطاهر يكتب باباً تحت عنوان (.. وانت تقرأ) في مجلة (الفيصل) التي تصدر في الرياض عن دار الفيصل الثقافية متضمناً عدة مقالات في الواحد وهي مراجعات او تعليقات نقدية على الكتب أو تعريف ببعضها.

(٩) ـ ١٩٩٢. مسرحيات وروايات عراقية في مآل التقدير النقدي ـ وزارة الثقافة والاعلام. دار الشؤون الثقافية. بغداد / ط١.

(١٠) ـ ١٩٦٧. في القصص العراقي المعاصر .. نقد ومختارات / دار المكتبة العصرية ، ط١. صيدا ـ بيروت. ١٦٣ صفحة.

(١١) د. محمد يوسف نجم ـ فن المقالة / نقلا عن فاضل ثامر (الهامش ٤).

(١٢) علي جواد الطاهر ـ ١٩٨٤. حسين مردان مقالياً ـ مجلة الاقلام ـ بغداد. وزارة الاعلام، العدد ١١ ـ تشرين الثاني ٨٤ / السنة ١٩ ص ص ٧٧ ـ ١٠٠.

(١٣) حميد المطبعي ـ ١٩٩٤. د. علي جواد الطاهر ـ موسوعة المفكرين والادباء العراقيين ـ ج ١٩ ط١ ـ الفصل الخامس ص ص ١٣٢ ـ ١٦٣ / دار الشؤون الثقافية ، بغداد.

(١٤) ـ علي جواد الطاهر ـ ١٩٩٠. الباب الضيق / المقدمة ص٧. (م س).

(١٥) ـ ١٩٨٧. الخطوة الثانية / اساتذتي.. (م س) ص ص ٢٦٩ ـ ٢٨١.

(١٦) ـ ١٩٧٧. محمد خضير .. وحده / وراء الافق الأدبي.. (م س) ص ص ٢٤ ـ ٢٩.

(١٧) ـ ١٩٧٧. يوسف الصائغ .. حالة/ وراء الافق الأدبي.. ص ص ٢٠ ـ ٢٢.

(١٨) ـ ١٩٧٩. غرف نصف مضاءة قمة جديدة في القصة العراقية ـ جريدة الجمهورية / صفحة آفاق ـ ١٩٧٩/١٢/٣ ـ بغداد.

(١٩) ـ ١٩٩٢. اربع قصص عالية الطبقة.. / مجلة (آفاق عربية) بغداد العدد ٥/ السنة ١٧ ص ص ١١٤ ـ ١١٧.

(٢٠)، (٢١) ـ ١٩٩٢. مسرحيات وروايات عراقية في مآل التقدير النقدي / م س ص ص ٧٦، ٩١ على التوالي.

(٢٢)، (٢٣) ـ ١٩٨٧ ـ طه احمد ابراهيم في الخلف / اساتذتي.. م س / ص ص١٥١ ـ ١٥٨.

www.dorat-ghawas.com

(٢٤) ـ ١٩٧٧. علماؤنا.. واللغة العربية / وراء الافق... م س /٢٢٨ ـ ٢٣٠.

(٢٥) ـ ١٩٧٧. الرصافي.. بضم الراء / نفسه... ص ص١٤٠ ـ ١٤٢.

(٢٦) ـ ١٩٧٧. لغة مجلة الاسبوع العربي / نفسه ص ص ٢٢٥ ـ ٢٢٧.

(٢٧) ـ ١٩٧٧. اذا تحولت العمامة الى سدارة / نفسه ص ص ١٤٢ ـ ١٤٦.

(٢٨)، (٢٩) ـ ١٩٧٧. شرط في المغني نفسه ص ص ٨٨ ـ ٩١.

(٣٠) ـ ١٩٧٧. شيء في الجو / نفسه ص ص ١٦٧ ـ ١٧٠.

(٣١) ـ ١٩٧٧. الشاعر الكبير / نفسه ص ص ٥٤ ـ ٥٦.

(٣٢) (٣٣) ـ ١٩٩٠. الاستاذ الكبير / الباب الضيق (م س) ص ص ٣٦ ـ ٣٧.

(٣٤) ـ ١٩٧٧.. كتاب لا تقرأه / وراء الافق... ص ص ٨٤ ـ ٨٧.

(٣٥) ـ ١٩٧٧. ناقد لا تقرأ له/ نفسه ص ص ٩٢ ـ ٩٦.

(٣٦) ـ ١٩٧٧. تدليس في نشر الكتب / نفسه ص ص ٢٢٠ ـ ٢٢٤.

(٣٧) ـ ١٩٩٠. جناية المقابلات... / الباب الضيق ص ص ١٠٥ ـ ١٠٧.

(٣٨، ٣٩) ـ ١٩٩٠. الهامش ٣٤.

(٤٠، ٤١) ـ ١٩٨٧. البنيوية اعلى مراحل السوء / اساتذتي.. ص ص ٣٥١ ـ ٣٢٢.

(٤٢) د. علي جواد الطاهر ـ ١٩٦٣. في الاسلوب ـ مقالات (م س) ص ص ٢٧ ـ ٣٣.

(٤٣) ـ ١٩٧٧. مرض العالمية / وراء الافق... (م س) ص ص ١٢٩ ـ ١٣١.

(٤٤) ـ ١٩٧٧. من ميم ميسان ..../ نفسه ص ص ١٦٤ ـ ١٦٦.

(٤٥) ـ ١٩٧٧. اذا تحدثوا... / نفسه ص ص ٣٦ ـ ٣٩.

(٤٦) ـ ١٩٩٠. الضفدع الذي أراد... / الباب الضيق ص ص ٤١ ـ ٤٢.

(٤٧) ـ ١٩٩٠. اديب مرموق... / نفسه ص ص ٧١ ـ ٧٣.

(٤٨) ـ ١٩٩٠، الهامش (٣٧) نفسه.

(٤٩) ـ معين بسيسو ـ ١٩٧٢. أدب القفز بالمظلات. كتاب الهلال / دار الهلال. القاهرة. العدد ٢٥٤ ـ ط١. ١٧٧ صفحة.

(٥٠) ـ قاسم عبد الامير عجام ـ الحورية وسهام النار.. دراسة في مقالات معين بسيسو / لم تنشر بعد.

(٥١) ـ ١٩٨٧ ـ مقال في الشعر لأويث سيتول / اساتذتي... (م س) ص ص ٢٨١ ـ ٢٨٧.

(٥٢) ـ ١٩٩٠. طولوا.. فطولنا... / الباب الضيق (م س) ص ص ٥٢ ـ ٥٣.

(٥٣) ـ الهامش (٢٢، ٢٣).

(٥٤) ـ ١٩٨٧. اساتذتي... / مقالات تحمل اسماء اولئك الاعلام كعناوين لها.

(٥٥) ـ ١٩٨٨. تجربة في تعلم القراءة / مجلة الاقلام ـ العدد ٥ / ١٩٨٨ ص ص ٤٢ ـ ٥٣.

(٥٦) ـ ١٩٨٧. التربية بالثواب.. / اساتذتي... ص ص ٣٥١ ـ ٣٦٠.

(٥٧) ـ ١٩٨٧. ناهد المازني وطبعه... / اساتذتي ص ص ٢٢١ ـ ٢٢٧.

(٥٨) ـ ١٩٨٧. حديث استاذ... / اساتذتي ص ص ٢٠١.

(٥٩) ـ ١٩٨٧. من اسرار المهنة.. / اساتذتي ص ص ٢٤٧.

(٦٠، ٦١) ـ ١٩٧٧. نقد الترجمة ـ اصول ترجمة.. / وراء الافق.. ص ص ٢٥٣ ـ ٢٥٦. وص ص ٢٤٧ ـ ٢٥٢ على التوالي.

(٦٢) ـ ١٩٩٠ صفحة مترجمة... / الباب الضيق ص ص ٩٨ ـ ١٠١.

(٦٣) (٦٤) ـ ١٩٨٧. الغربيون.../ مختارات... / اساتذتي ص ص ٢٩٧ ـ ٣٠٨ و ص ص ١٨٣ ـ ١٩٠ على التوالي.

(٦٥) ـ ١٩٨٩ (.. وانت تقرأ / مجلة الفيصل (م س) ع/ ١٥٣ السنة ١٣. ص ص ٢٧ ـ ٣٠.

(٦٦) ـ ١٩٨٧. الهامش (٥٩) نفسه.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

www.dorat-ghawas.com